جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

المرحلة/ دكتوراه اسلامي

المادة: انتشار الإسلام

استاذ المادة: أ.د. خالد محمود عبدالله

المحاضرة السادسة

مملكة مالي الاسلامية

مملكة مالي الاسلامية

إستطاع المرابطون بفضل جهادهم تفكيك إمبراطورية غانة الوثنية في سنة ٤٦٠هـ/١٠٧٦م، وبعد انسحابهم من المنطقة، وُجِدَ فراغ سياسي، جعل عدداً من الأقاليم التابعة لغانة تنفصل عنها، وتكوين دويلات مستقلة و وجدت بين هذه الدويلات تنافس وحالة من التفرق والانقسام وعمل كل منهم ضمن مقاطعته ليعطوا روحاً قوية لتشكيل مملكة زنجية، وجرت بينهم عمليات تصفية رتيبة، وأسفر هذا الصراع من أجل السلطة أن آل الأمر أخيراً إلى قبائل الماندنجو المسلمة القاطنة في مقاطعة (كانجاب) والتي يرجع إليها الفضل في تأسيس مملكة مالي الاسلامية، وسنعطي خلفية تاريخية عن الماندنجو.

الماندنجو : للماندنجو عدة تسميات متقاربة، والمعروف منها الماندنكا، و الماندي، ومانّنج، و ماننجا، وماندنج، وهي كلها متقاربة في حروفها، وكلمة ماندي عند السوننك الذين هم أحد فروع الماندنج تعني مركز إقامة السيد أو الحاكم، وبمعنى أدق العاصمة، وتفسير آخر لكلمة ماندنج هي (ما) تعني الأم و (ندنج) تدل على معنى الطفل أو الابن فتكون الكلمة مجتمعة (ابن الأم)، وهذه دلالة على أهمية النسب إلى الأم وهو أمر معروف عند الماندنجو.

ملوكها :

لم تكن أسرة كايتا هي الأسرة الأولى التي حكمت مالي، بل سبقتها أُسَر لم تكن ذات شهرة كبيرة مثل أسرة باكابوكو وأُسرة تراوري، و الكاماروين وغيرها، ومن المأثورات الشعبية في مالي تقول: أن مُنشأها كان رجلاً مسلماً من الماندنجي يسمى موسى دييجو، تولى عرش مالي بين سنتي ١٢٠٠ و ١٢١٨م، وهناك رواية تقول أنه من سلالة بلال الحبشي رضي الله عنه مؤذن الرسول ﷺ وأنه جاء طفلاً من الحجاز، أو جاء أبوه إلى بلاد الماندنجي وتزوج فيهم واستقر في بلاد التكرور، ثم دخل في جماعة البولا ((جماعة المرتزقة من العسكريين)) كان ملوك الكونتايين يعتمدون عليهم، ودخل ابنه في عداد هذه الطبقة، وتمكن عن هذا الطريق الوصول إلى السلطة، وأنشأ أسرة كايتا.

اتخذ موسى دييجو أو موسى كاتيا مدينة جريبة في اقليم كانجابا عاصمة له، وأنجب عدداً كبيراً من الأولاد، فخلفه إبنه الأكبر (ناري فان ماجان)) الذي ضل يحكم حتى سنة ١٢٣٠م، وبذل جهوداً كبيرة لنشر الاسلام بين رعيته، خاض نارى فان ماجان حروب طويلة على اخوته الذين نازعوه العرش، وتغلب عليهم آخر الأمر، ونقل عاصمته في شرق جبال الفوتوجالون، و سنة ١٢٣٠م خلفه ابنه كونيوغو الذي بسط حكمه على أكثر أقاليم غامة القديمة.

وفي أيامه قام سوما نجورو ملك الصوصو بهجوم عنيف على دولة مالي، وهزم الملك كونيوغو وقتله مع عشرة من اخوته، ولم ينجُ من هذا المصير إلّا ابنه الأصغر

سانديانا، الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لهذه الدولة، وقد اشتهر سانديانا بلقب ماري جاطة، فماري تعني الأمير الذي يكون من نسل السلطان، وجاطه تعني الأسد والكلمتان معاً تعني الأمير الأسد.

أخذ سانديانا على عاتقه أمر بلاده، بعد أن تشرد في الأقاليم الجنوبية لدولة مالي وفي صحبته عدد من أصحابه الشجعان، وتمكن أن يجمع جيشاً قوياً من الماندنجي، ويقودهم في صراع عنيف مع ملك الصوصو الوثني، وتمكن من الانتصار عليه سنة ١٢٣٥م، في معركة حاسمة عند كيرينا، وطرد الصوصو من مالي، وأعاد الاستقلال إلى بلاده وتربع على عرشها.

امتد نفوذ سانديانا على بلاد النيجر الأوسط والصحراء، بعد إخضاعه أراضي غانة القديمة سنة ١٢٤٠م، وتخريب عاصمتها التاريخية كومبى صالح، وتخطيط عاصمة جديدة هي نياني بدلاً من عاصمته جريبة، وذلك لتتوسط أنحاء امبراطوريته، ومن نياني اشتق اسم مالي.

قسّم سانديانا دولته إلى اثني عشر قسماً ادارياً، يحكم كل اقليم حاكم من العائلة المالكة، على أساس وراثي، وفي رواية اخرى ولّى على كل منها رجلاً من كبار قادته، كما قام بتوسيع رقعة مملكته بأن استولى على الأماكن المهمة، فسيطر على مناجم الذهب.

كان سانديانا كثير الاهتمام بادخال رعياه في الاسلام، واتتصفت فترة حكمه بالأمن والرخاء الاقتصادي، وتعاون مع زعماء القبائل التي تقع ضمن نفوذه بانشاء صداقات ومصاهرات ومنحهم إدارة الأقاليم مقابل ولائهم له، وأخذ أبناءهم رهائن في قصر الملك طوال فترة ادارتهم للأقاليم.

أطلق على المملكة كلها اسم مالي، وحل محل اسم مملكة الماندنجي، وامتدت هذه المملكة حتى تشمل حوض نهر غامبيا، وشملت كذلك بلاد التكرور في حوض السنغال وبلاد الجف، وبذلك أصبحت أكبر مملكة ظهرت في أفريقيا المدارية.

بعد وفاة ساكورة، رجع حكم مملكة مالي إلى اسرة كيتا، فتولى أمر البلاد الملك منسا موسى، الذي يعتبر أقوى ملك حكم مالي على الاطلاق، وقد إختلف المؤرخون حول تاريخ تولي الملك منسا موسى أمر البلاد، ولكن أقرب الفرضيات هي التي تقول: أنه بدأ في تسيير الحكم ما بين عامي ٧٠٧-٧٣٣هـ/١٣١٢-١٣٣٧م، وقد اختلف عدد من المؤرخين في اسمه، فمنهم من أطلق عليه موسى بن أبي بكر الأسود، وقسم منسا موسى، وموسى بن أبي بكر، غير أن محمد بن أحمد الحنفي صاحب كتاب (بدائع الزهور) أطلق عليه موسى بن أبي سالم التكروري.

ان ما اشتهر به هو الملك منسا موسى أو كنكه موسى، ومنسا في لغة الزنج تعني ملك وموسى اسمه، أما لقبه كنكه موسى، فكنكه اسم أمه، وهو ما درج عليه أهالي السودان الغربي من نسبة الابن إلى أمه، نظراً لأن الأم في تلك الفترة تتزوج

أكثر من رجل، ومنهم من يرى أن كنكه موسى تعني حاكم موسى، لكن اسم الأم هو أقرب إلى الحقيقة.

وجد منسا موسى البلاد في حالة عدم الاستقرار الذي جرّه مقتل ساكوره، فوجّه جهوده لصيانة النظام والأمن وتوطيد علاقاته مع جيرانه في الشمال الأفريقي، وبلغت شهرتها الأندلس وأوربا والمشرق العربي، فأخلاقه وورعه أكسبه حب الرعية، وتفانيهم في طاعت واحترامه، فكان يعتق كل يوم ألفي شخصمن الرق.

جرى السلطان منسا موسى على عادة أسلافه في توسيع رقعة بلاده، فاستولى على ما تبقى من بلاد غانه، واقليم مالي الذي يتوسط المملكة، وإقليم الصوصو، ويقع إلى الغرب من مالي.

قام منسا موسى برحلة إلى الحج عام ٧٥٢هـ/١٣٢٤م، بعد أن استغرق التحضير لها خمس سنوات، وتضاربت آراء المؤرخين في كمية الذهب التي حملها معه وعدد العبيد الذين رافقوه، فمنهم من ذهب إلى حد القول بأن أول رأس قافلته بتنكيت وهو لا يزال في داره، وعدد العبيد معه ٥٠٠ عبد يسعون بين يديه، فضلاً عن الجند الذين كان عددهم ٦٠ ألف رجل، وهؤلاء العبيد الخمسمائة كل منهم يحمل عصا من الذهب في كل منها ٥٠٠ مثقال ذهب، وهذه الروايات التي لم نذكرها ضرب من الخيال، وعند وصوله إلى القاهرة استُقبل إستقبالاً رسمياً وشعبياً، وكان حكم مصر في تلك الفترة إلى محمد بن قلاوون الذي أوعز إلى العباس أحمد بن علي

الخاقاني بمرافقته، وقد أحاطه برعاية خاصة، وأنزله قصراً، بل أهداه له وأجزل حاكم مصر العطايا من حرير وخيل وإبل وتموين، وفي المقابل منح السلطان المالي إلى حاكم مصر بعيراً محملاً ذهباً قُدِّر حوالي خمسة آلاف مثقال، فضلاً عن ذلك فقد وزع السلطان الذهب والعطايا على من قدم له خدمة بمن فيهم موظفو الدولة المصرية.

مكث منسا موسى في مصر، وعندما حان موعد الحج ذهب إلى الأراضي المقدسة وأدى فريضة الحج، وتصدق بمبلغ قُدِّرَ بعشرين ألف درهم من الذهب، ورافقته في رحلة العودة أربع من الموالي، والمهندس أبو اسحاق الساحلي، الذي عرض خدماته المعمارية على السلطان، وفي طريق العودة ضل ركب السلطان في الطريق بين الحجاز ومصر، الأمر الذي جعل جزءاً كبيراً من المواد الغذائية ينفد من ركبه وعند وصوله مصر أصبح ما بيده من المواد الغذائية قليلاً لا يكفي لمواصلة رحلته إلى البلاد، (فباع العصر)، واقترض من سراج الدين أحد تجار مصر خمسين ألف دينار.

عند رجوعه تنامى إلى سمعه نبأ استقلال إقليم صنغاي عن حاضرة الدولة، فغيّر طريق سيره واتجه صوب جاو حاضرة الاقليم السابق، ولما علم ملك الاقليم بمقدمه إستقبله استقبالاً لا يليق بمقامه العالي، وقدّم له فروض الطاعة والولاء، كما مر ركب السلطان بمدينة تنبكت، وقد شيّد بها المسجد الكبير وقصراً له ومساجد أخرى.

بلغت البلاد في عصره عنفوان مجدها، فاستولت قواته على حاضرة صنغاي، جاو، تنبكت ووجه جيشه نحو الجنوب مخترقاً الصحراء إلى فوتوجالون على حدود نيجيريا الحالية ومن بعده سرك إلى مناجم الملح في منطقة تغارا والنحاس في بلدة تكدا ووصلت سيطرته إلى المحيط الأطلسي، توفي عام ٧٣٨هـ/١٣٧٧م، بعد أن حكم ٢٥ سنة.

تولى الحكم بعده ابنه مغا ٧٣٨-٧٤٢هـ/ ١٣٣٧-١٣٤١م، وكان ضعيف الشخصية، حدثت في عهده الاضطرابات والفوضى، وانتشل الاضطرابات عمّه منسا سليمان ٧٤٢-٧٦٢هـ/ ١٣٤١-١٣٦٠م، الذي عمل على إصلاح ما فسد، وشجّع العلماء والعلم، وجلب الفقهاء من مذهب مالك، وشيّد المادرس والمساجد، وانتهج العدل في حكمه، وقام السلطان منسا سليمان برحلة إلى الحج بعد أن وطد أركان بلاده، وقد عرف لدى أهالي مصر بملك التكرور، توفي منسا سليمان عام ٧٦٣هـ/١٣٥٩م، وتولى بعده ابنه قنبتا الذي لم تكن له شخصية الحاكم، ومكث تسعة أشهر في الحكم، وخلفه في الحكم الملك ((ماري جاطة الثاني)) ٧٦٢-٧٧٦هـ/١٣٦٠-١٣٧٤م، وعرف بأنه الملك الأهوج المبذر الذي لا يعرف للحكمة طريقاً، فقد انتهك خزانة البلاد بمصروفاته الزائدة على ملذاته طيلة ١٤ عاماً، وفي ظل هذه الظروف توفي ماري جاطة الثاني ٧٧٦هـ/١٣٧٤م، فتولى

ملوك ضعاف من بعده السلطة، وبعد سنوات أصبحت تابعة لمملكة صنغاي التي أسسها الملك سُن علي.

شعب التكرور

جمع تكاررة، وتستعمل في السودان الشرقي للدلالة على كل السودانيين الذين يسكنون غربهم إلى المحيط، إذن هم من أهل السودان الغربي يسكنون حوض السنغال الأوسط، فالسنغاليون تكاررة أو أصلهم فرع من الفولانيين، وهم شعب كبير معروف في كل أفريقيا المدارية، أصلهم البعيد من بربر إقليم فزان، عبروا إلى تشاد وانتشروا وتكاثروا واختلطوا بالسكان وأصبحوا سودانيين وان كانوا أقل سواداً من جيرانهم.

في أراضي السهوب الممتدة من غربي نيجيريا الحالية إلى ساحل المحيط، وعلى هذا الساحل من السنغال إلى الكاميرون، تمكن الفولانيين من إنشاء عدد من مراكز التجمع الفولانية الكبيرة، في فوتاتورو وفي السنغال وعند سفوح فوتوجالون في غينيا، وفي إقليم ماسينا في جمهورية مالي الحالية، وفي إقليم ليبتاكو في جمهورية فولتا العليا، وفي ناحية واسعة تمتد من شمال نيجيريا إلى الكاميرون تسمى بلاد أدماوه.

الفولانيين الذين استقروا في اقليم فوتاتورو السنغال هم الذين عُرِفوا بالتكاررة الذين نتكلم عنهم، وطعام أهل تكرور السمك والذرة والألبان، وأكثر مواشيهم الجمال

والماعز، ولباس عامة أهلها الصوف، ولباس خاصتهم القطن والمآزر، وفي موطنهم هذا أسلم التكاررة على يد عبدالله بن ياسين في إندفاعه نحو الجنوب، وتحمسوا للإسلام تحمساً شديداً، وفي الجزء الأدنى من نهر السنغال الذي سكنوه، تقع الجزيرة التي اتخذها عبدالله بن ياسين معتصماً لأصحابه الذين سماهم المرابطين، ومن قلب التكرور خرجت شرارة الحركة المرابطية التي احتضنتها قبائل صنهاجة الصحراء.

التنظيم السياسي والاقتصادي والثقافي لدولة مالي

نظام الحكم في مالي ملكي وراثي على الغالب، وكان نظام تولي عرش المملكة لا يقتصر على أبناء الملك بل حتى أخوة الملك قد يكون لهم نصيب في العرش، ومنسا سليمان خير دليل على ذلك، وقد يولي الملك أبناء الأُخت أو بنات الأخت، فهو أمر مألوف عندهم، وما يبرهن ذلك تولى أبي بكر عام ٦٧٤هـ أمر البلاد، وهو ينتسب إلى ماري جاطة على أنه ابن أخته، وقد ينفلت الأمر من الأسرة الحاكمة، ويصل الحكم إلى يد رجل خارج الدائرة، وهذا ما نجده متمثلاً في ساكوره، الذي لا ينتسب إلى الأسرة المالكة، بل هو مولى من الموالي، إنتزع عرش البلاد كما سبق ذكره.

كان نمط الحكم في مملكة مالي الاسلامية إسلامياً في الغالب، وقد يمارس حكامها حكماً إستبدادياً في بعض الأحيان، وقد تصل هيبة ملوك مالي عند رعيتهم إلى درجة التقديس.

إنتهجت مملكة مالي الاسلامية في نظام حكمها نهج بعض الممالك الاسلامية المعاصرة لها، وكان نظام الحكم تسند فيه السلطة إلى الملك بالدرجة الأولى ويسيّر دفة الحكم مع الملك ونائبه، مجلس الوزراء وموظفون يسيّرون دواوين المملكة أو الخط المغربي، ويعقد إجتماعات دورية في فناء قصره للتشاور ومتابعة توجيهاته السابقة إلى حكام الأقاليم في المملكة والتأكد من تنفيذها.

ويأتي في الأهمية بعد الملك نائبه، ويطلق عليه ((قنجا)) وعادة يكون ابن الملك من يتولى هذه الوظيفة وينوب عن الملك، وإذا خرج الملك خارج البلاد يترك أمر تسيير دولته إلى ابنه، وهذا ما فعله منسا موسى عند ذهابه في رحلة الحج، إذ ترك إبنه محمد نائباً عنه.

الوزارات غالباً ما تسند إلى وزراء من عرب شمال افريقيا المتواجدون هناك، فقد تولوا الخزانة والقضاء والترجمة وكتّاب الملك والاستشارة، وقد أسند الملك منسا موسى منصب الاستشارة إلى المهندس الليبي عبدالله الكومي الموحدي الغدامسي، ومن الوزارات الرئيسية: الثقافة، و الأملاك، وشؤون مياه نخر النيجر، والملاحة النهرية، و الصيد، والغابات، والجزية.

كانت مالي مقسمة إلى عدد من الأقاليم وهي غانة، و رافون، و ترنكا، و تكرور، وسنغانة، و بانبغو، و زار ميرطا وغيرها أما عن التنظيم الاداري والمصطلحات التي يطلقونها على اداراتهم وأقاليمهم، فتعبير القرية يطلقون عليه اسم الاجو، وتعتبر نواة الوحدة الادارية، وتأتي بعدها في المرتبة الثانية المدينة، وهي تتألف من عدة قرى، ويطلق عليها الكافو، كما يطلق على مجموعة المدن ((الكافوات)) وإسم الديامانا بمعنى الولاية، كما يطلق لقب مانسا أو ماسا على حكام الولايات أو رؤساء القرى، وكان حاكم الولاية يدعى كُي بمعنى ملك تابع لسلطان مالي، ويعتبر هذا أرفع لقب يلقب به حكام الولايات في المملكة.

شهدت مملكة مالي نهضة سياسية بتوطيد علاقاتها مع جيرانها وخاصة المغرب الأقصى، فتبادلت معه الوفود ورسائل المؤازرة وخاصة في عصر السلطان المريني أبو الحسن بن عثمان ٧٣٢-٧٥٢هـ، ونظيره السلطان منسا موسى سلطان مالي، وتتوج ذلك عندما انتصر أبو الحسن المريني على تلمسان وضمّها إليه عام ٧٣٦هـ، فما كان من السلطان منسا موسى إلّا أن أرسل إليه وفد تهنئة ومؤازرة، واستقبل الوفد بكل حفاوة وتكريم، وفي فترة تواجد الوفد المالي في المغرب حُمل نبأ وفاة السلطان منسا موسى إلى المغرب فحزن السلطان المريني لفقد صديق، وبعث وفداً برئاسة كاتب الديوان أبي طالب بن محمد بن أبي مدين، مُحَمّلاً بأصناف الهدايا من خزائن

دار السلطان، واستقبل الوفد من قبل السلطان منسا سليمان إستقبالاً يليق بمقامه، وتقبّل منهم التعازي وهدايا السلطان المريني.

ودعماً لروابط الأخوة أرسل السلطان المالي مع وفد التعزية عند رجوعه إلى المغرب الأقصى سفارة برئاسة الحاج الونجرتي إلى السلطان أبي الحسن المريني، يؤكد له فيها إستمرار العلاقات الحميمية بين البلدين.

إرتبطت مالي الاسلامية بعلاقات مع دول المغرب، فارتبطت بعلاقات تجارية مع مدن ليبية في مقدمتها مدينة غدامس و طرابلس، وكانت السلع المتبادلة بين الجانبين متمثلة بالأقمشة والحرير والعقيق والملح والجلود و التوابل والكولا، كما ارتبطت كل من سجلماسة وفاس ومراكشس بعلاقات تجارية مع مالي، بتسييرها القوافل التجارية عبر الصحراء إلى منطقة السودان الغربي، وكانت القوافل تحمل الأمتعة والقماش والعقيق والملح والحرير، وترجع مُحَمّلة بالذهب والتوابل والكولا والعبيد.

كانت مالي تتربع على ثروة معدنية تمثل ركيزة الاقتصاد المالي أهمها: الذهب والملح والنحاس، ويتركز الذهب في المناطق الجنوبية في منطقة وانقاره.

جاء الإسلام إلى الزنوج وهم سادة بلدانهم، يتمتعون بكامل الحرية والسيادة والقوة، ويمارسون حكم بلادهم وينظمون شؤونهم الخاصة في مجتمعاتهم، فلم يكن لدعاة

الإسلام من العرب أو غيرهم من ناشريه أدنى قسط من السيطرة، وإن كان نفوذهم الروحي عظيماً، لكنه مقبول عن رضى وقناعة تامة.

كان الدعاة من المسلمين يمتزجون بالزنوج عن طريق المصاهرة، ويذوبون في المجتمع الأفريقي دون قهراً، ولذلك تقبّل السود الإسلام، وعملوا على نشره بين مواطنيهم، فكان دعاة الماندنجو الذين أثبتوا في جميع بلاد غربي أفريقيا تحمسهم لنشر الإسلام، وكذلك قبائل الفولان الذين حملوا على عاتقهم لواء الدعوة، ولذلك لم يؤد الإسلام إلى تحطيم النظم المحلية القائمة، بقدر ما هذّب منها وفق الشريعة السمحة بل المؤمنون أنفسهم إختاروا الصورة الجديدة للحياة.

لعل من أبرز خصائص وعوامل إنتشار الإسلام في مالي أو حسّن قبوله، أن البلاد التي قدم منها (الجزيرة العربية ومصر والمغرب) لم يكن لها أي نوع من الإشراف أو السيادة أو الحماية، فالإسلام في مالي ترك الوطنيين سادة على أنفسهم وعلى بلادهم، وأن الاسلام لم يقطع الأفريقي عن ماضيه وعن مجتمعه، وزرع في افريقيا المساواة التامة وكفل للمسلمين حقوقهم دون النظر إلى لون أو جنس.

إنهيار مملكة مالي

من أسباب انهيار مملكة مالي هي:

١- سيطرة الطوارق على مدينة تنكيت و جنى و ولاته.

٢- خروج بعض المناجم الهامة، والتي تمثل ثقلاً إقتصادياً مهماً في البلاد، من أيدي الحكومة، مثل منجم النحاس في تكنا وغيره، الأمر الذي جعل البلاد في حالة اقتصادية متدهورة.

٣- التنازع على العرش بين أفراد الأسرة الحاكمة قرّب من زوال مالي، وهذا الصراع كلّف خزينة الدولة أكثر من الأموال التي كان يجب عليها أن تنفقها في شؤون أخرى.

٤- هجوم قبائل الموشي الوثنية من الجنوب أدى إلى تدهور مالي.

٥- انغماس الحكام في الترف والشهوات، الأمر الذي شغلهم عن الاهتمام بشؤون المملكة، بأن إستقل عدد من الأقاليم عنها، وبذلك تقلصت حدودها وتوالت عليها عوامل الضعف حتى سقطت.

٦- هجوم قبائل الولوف من الجنوب الغربي، وتسديد الضربات المؤلمة لها، أدى إلى التعجيل بموعد سقوطها.

٧- إهتمام حكام مالي في القرن الثامن الهجري/ الخامس عشر الميلادي بالمناطق الغربية على الأطلسي، وهذا العامل له مغزاه البعيد، على أنهم يريدون من وراء ذلك تقوية علاقتهم مع البرتغال، الذي بدأت له موطئ قدم في المنطقة على هيئة مراكز لتجارة العبيد على شواطئ أفريقيا الغربية.

٨- الصراع الذي شكلته صنغاي وكانم من جهة الشرق على مملكة مالي الاسلامية عمل على انهاك قوتها، وبأ يظهر نجم صنغاي إلى الوجود في النصف الثاني من القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد، متمثلة في شخصية سُن علي الذي جاء إلى سدة الحكم عام ٨٨٩هـ/١٤٦٤م.